



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس القواعد المثلى

شرح الشيخ علي الرملي حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (11)

التاريخ: الخميس 06/محرم/1441 هـ

05/أيلول/2019 م

الدرس الحادي عشر من "القواعد المثلى"

قال المؤلف رحمه الله:

(القاعدة السادسة:

يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين أحدهما:

التمثيل، والثاني: التكييف)

يعني: عندما تثبت الصفة لا بدّ أن تحذر من الوقوع في أمرين عظيمين؛ الوقوع فيهما محرم؛ هما التمثيل والتكييف.

التمثيل هو تمثيل صفات الله سبحانه وتعالى بصفات المخلوقين.

وتكييف صفة الله سبحانه وتعالى بأن تقول بأنّ صفة الله لها كيفية كذا وكذا كما سيأتي إن شاء الله.

والتمثيل والتكييف مُحَرَّمَان، وعند إثباتك للصفة يجب عليك أن تحذر منهما، فالواجب عليك مع إثبات الصفة أن تنفي التمثيل وتنفي التكييف؛ لأنّ بعض أهل البدع وقع في هذا المحذور؛ لذلك أنت تنفيه فتقول: ثبت لله سبحانه وتعالى اليد من غير تكييف ولا تمثيل، لأنّ التكييف والتمثيل مُحَرَّمَان.

قال المؤلف رحمه الله: (فأمّا التمثيل: فهو اعتقادُ المُثَبِّتِ أنّ ما أثبتّه من صفات الله تعالى

مماثلٌ لصفات المخلوقين؛ وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل)

إذا عرّف المؤلف التمثيل ثم سيأتي بالأدلة التي تدلّ على تحريمه؛ فما هو التمثيل؟

التمثيل: أن تثبت- مثلاً- صفة اليد لله سبحانه وتعالى، وتعتقد أنّ يده سبحانه وتعالى مثل أيدينا أو كأيدينا؛ هذا معنى التمثيل، عندئذٍ تكون قد وقعت في المحذور؛ وقعت في المحرّم؛ وهو أنّك شَبَّهت صفات الله الكاملة بصفات المخلوقين الناقصة؛ وهذا محذور، مُحَرَّم؛ فإنه وإن كان هناك اشتراك في الاسم واشتراك في أصل المعنى؛ لكن عند الإضافة؛ كأن تقول مثلاً: يد الله، وتقول: يد المخلوق؛ يحصل انفصال كبير وعظيم بين الصفتين؛ فلا يصحّ أن تقول: يد الله



كأيدينا؛ هذا هو الذي ينبغي أن نحذر منه بارك الله فيكم.
كذلك كأن يقول: سمع الله كسمعنا، بصر الله كبصرنا، عين الله كأعيننا؛ وهكذا؛ هذا معنى التمثيل.

وهذا المعنى يشرحه لنا أئمة السلف رضي الله عنهم؛ فعقيدتنا عقيدة السلف رضي الله عنهم، فلا نأتي بالكلام من عندنا؛ بل نأتي به من كلام سلفنا رضي الله عنهم وأرضاهم الذين أثنى عليهم ربنا تبارك وتعالى وأثنى عليهم نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ فقد قال إسحاق بن راهويه رحمه الله - وللإمام أحمد وأبي زرعة الرازي ونعيم بن حماد وغيرهم مثله -؛ قال: (إنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيدٍ - ويعنون بالتشبيه: التمثيل -، أن يُقال: يد كيد أو مثل يد؛) هكذا يكون التشبيه؛ لا كما يقول أهل البدع؛ فإنهم يقولون: إذا أثبت أصل اليد لله سبحانه وتعالى وأثبت اليد للمخلوق؛ فقد شبهت الله بخلقه.

نقول: هذا باطل، لا يلزم من هذا التشبيه؛ فإنك إذا قلت: للنملة يد وللفيل يد؛ هل يلزم من ذلك تشبيه بين اليد واليد؟ لا يلزم، إذاً مجرد الإثبات لا يدل على التشبيه أو التمثيل؛ هناك فرق، وإن كان الاشتراك يكون موجوداً في الاسم وفي أصل المعنى؛ لكن لا يلزم من ذلك أن تكون هذه كهذه؛ هناك اختلاف كبير بين الصفتين.

الله سبحانه وتعالى موجود، وحتى المتكلمون لا يستطيعون أن ينكروا هذا؛ لأن من أنكر هذا كفر، وكفره واضح جلي؛ لأنه يصبح ملحداً من الملحدين الذين ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى؛ إذن الله سبحانه وتعالى موجود ونحن موجودون، لا يستطيع أحد أن يقول نحن معدومون؛ إذن نحن موجودون؛ فليس عندنا إلا وجود أو عدم، فنقول: الله سبحانه وتعالى موجود ونحن موجودون، الاسم واحد وأصل المعنى واحد؛ لكن هل وجود الله كوجودنا؟ لا؛ وجود الله ليس كوجودنا؛ وجود الله سبحانه وتعالى لم يسبق بعدم ولا يلحقه فناء؛ أمّا نحن فوجودنا مسبق بعدم؛ ففي مدة من الزمن لم نكن موجودين حتى أوجدنا الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن نفنى؛ الله سبحانه وتعالى قادرٌ على إفنائنا كما يُفني الحيوانات، فيقول لها: كوني تراباً فتكون تراباً؛ كذلك هو قادرٌ على أن يفنيها لو أراد ذلك سبحانه وتعالى.
هل وجود كهذا هو وجود كوجود الله سبحانه وتعالى؟ لا؛ بينهما فرق.

كذلك حياة الله سبحانه وتعالى وسمع الله وبصره؛ كَلَّه بنفس المعنى؛ بهذه الأمثلة يتَّضح الأمر؛ نحن نثبت لله سبحانه وتعالى أنه موجود، ونثبت أن المخلوق أيضاً موجود؛ لكن مع ذلك وجود الله سبحانه وتعالى ليس كوجودنا.

إذاً ما يدَّعيه المتكلمون من أن إثبات الصفات يلزم منه التشبيه (التمثيل) نقول: باطل، هذا اللازم ليس بلازم؛ لأن معنى التشبيه والتمثيل كما قال السلف رضي الله عنهم: أن تقول: (يد مثل يد)، أو: (يد كيد)؛ هذا الفارق بين أهل السَّنة وأهل البدع.

تنهوا هنا؛ التمثيل عندنا يختلف عن التمثيل عندهم؛ نحن متفقون على أن التمثيل محرَّم؛ لكن نختلف معهم في معنى التمثيل؛ هم يقولون: أنك إذا أثبتَّ صفة لله موجود عند المخلوق أصلها، كصفة اليد والسمع والبصر؛ إذاً فهذا تمثيل؛ مجرد الإثبات تمثيل، ونحن نقول: هذا باطل؛ إنما التمثيل: أن تقول: صفة الله مثل صفة المخلوق كما قال ربنا في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ لذلك جاء التفسير عن السلف أنهم قالوا: التمثيل (التشبيه) هو أن تقول: يد كيد أو مثل يد.

نكمل كلام إسحاق بن راهويه؛ لأنَّ كلامه هذا هو ردُّ على المتكلمين وبيانٌ لعقيدة أهل السَّنة التي كان عليها السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم بإحسان؛ قال إسحاق بن راهويه: (إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ يَدٌ مِثْلُ يَدِي أَوْ سَمِعَ كَسَمْعِي؛ فَهَذَا تَشْبِيهُ، وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ يَدٌ وَسَمِعَ وَبَصَرَ، فَلَا يَقُولُ كَيْفَ وَلَا يَقُولُ مِثْلَ؛ فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيْهًا عِنْدَهُ، قَالَ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽¹⁾)

فهذا ردُّ على المتكلمين؛ فقد نفى الله تعالى في هذه الآية عن نفسه التمثيل، وأثبت لنفسه صفة السمع والبصر.

وأهل البدع المفارقون لأهل السَّنة قسمان:

- قسم ينفي الصفات تماماً ويقول: إذا أثبتناها فقد شَبَّهنا الله سبحانه وتعالى بخلقه وهذا محذور؛

¹ - "سنن الترمذي" تحت الحديث (662)

فهؤلاء يؤمنون بالجزء الأول من الآية: ﴿ليس كمثله شيء﴾،

ولكنهم يكفرون بالجزء الثاني ﴿وهو السميع البصير﴾.

- وطائفة ثانية: تثبت لله السمع والبصر وتجعلها مماثلة لسمع وبصر المخلوقين؛

فهؤلاء أهل التمثيل، وهم يؤمنون بالجزء الثاني من الآية ويكفرون بالجزء الأول.

وأسعد الناس بكتاب الله هم أهل السنة والجماعة الذين لا يتركون شيئاً من كتاب الله إلا يؤمنون به ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾؛ فهم يؤمنون أن الله سبحانه وتعالى سميع بصير، وأن سمعه وبصره ليس كسمع المخلوقين وبصرهم؛ بهذا تجتمع الآيات وعلى هذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم.

وفسير المؤلف معنى التمثيل، وعرفنا نحن معنى التمثيل، وهذا الذي حصل عند أهل البدع من المتكلمين؛ يعني تفسيرهم للتمثيل بالمعنى الذي ذكرناه؛ هو سبب انحرافهم في نفي صفات الله تبارك وتعالى عنه؛ فقالوا: إذا أثبتنا الصفات لله سبحانه وتعالى لزم من ذلك التمثيل، والتمثيل مُحَرَّم؛ إذاً يجب أن ننفي الصفات عن الله تبارك وتعالى.

فعقولهم عند إثبات الصفات لا تدرك إلا التمثيل بصفات المخلوقين؛ فلذلك أرادوا أن ينفوا صفات الله سبحانه وتعالى عنه.

لكن التمثيل حقيقة عند أهل السنة والجماعة- وهو الذي أراده الله سبحانه وتعالى في كتابه بدليل تنمة الآية: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ هو أن تقول: يدٌ مثل يد، أو: يد كيد.

ما الدليل على تحريم التمثيل؟

قال المؤلف: (وهذا اعتقادٌ باطل بدليل السمع والعقل)؛ يعني عنده على هذا أدلة سمعية وأدلة عقلية، والمقصود بالدليل السمعي: القرآن والسنة، والمقصود بالدليل العقلي: هو الذي يدرك بالعقل.

قال رحمه الله: (أما السمع فمنه قوله تعالى: {ليس كمثله شيء})

هذه الكاف الموجودة في: ﴿كمثله﴾ أشكلت على أهل العلم، وجاء هذا الإشكال من كون الكاف



هنا للتشبيه؛ فيكون تقدير الكلام: ليس مثل مثله شيء، فالنفي حقيقةً عائد على مثل المثل؛ فكأنك تثبت لله مثلاً؛ ولكنك تنفي أن يكون لهذا المثل مثل؛ هذا معنى الآية إذا كنت أثبتت أن الكاف للتشبيه؛ فلذلك اختلفت كلمات أهل العلم في توجيه هذه الآية، وأصح ما قيل في ذلك: أنها لتأكيد النفي، كأن الله سبحانه وتعالى كرّر الآية وقال: ليس كهو شيء وليس مثله شيء، هذا معنى التوكيد، كأنها جاءت مرتين، فتكون تأكيداً لنفي المثل عن الله تبارك وتعالى، وهذا هو الحق إن شاء الله في معنى هذه الآية؛ فلا إشكال إذاً عند الجميع، حتى عند المتكلمين،

وعند أهل السّنة؛ أن الآية لا تدلّ على إثبات؛ لأنهم متفقون أن الآية جاءت لنفي المثل عن الله سبحانه وتعالى، لكن أشكل عليهم حرف الكاف هذا والتوجيه الذي ذكرناه هو الصواب إن شاء الله في ذلك.

إذاً الآية دليل على نفي التمثيل وهذا محلّ اتفاق؛ ليس فيه خلاف إن شاء الله بين أهل السّنة والجماعة وحتى عند المتكلمين أيضاً.

قال: **(وقوله: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (1))**

يعني: لا يمكن أن يكون الخالق مثل المخلوق، لا يمكن ذلك لا في ذاته ولا في صفاته تبارك وتعالى؛ إذاً المثلية منفية؛ فهي محرّمة.

قال: **(وقوله: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} (2))**

يعني: هل تعلم له كفوّاً ومماثلاً؟ لا يوجد مماثل لله سبحانه وتعالى؛ إذاً صفات الله ليست كصفات المخلوقين.

قال: **(وقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (3))**

¹ - [النحل: 17]

² - [مريم: 65]

³ - [الإخلاص: 4]

لم يكن له مكافئ ومماثل ومساوٍ أحد؛ لذلك لا يصحّ أن يُمثل الله سبحانه وتعالى بشيء من خلقه.

هذه الأدلة السمعية تدلّ على أنّ الله سبحانه وتعالى لا يماثله شيء.

قال المؤلف: (وأما العقل؛ فمن وجوه؛ الأول: أنّه قد علِمَ بالضرورة أنّ بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات)

يعني: اختلافاً في الذات؛ فذات الله سبحانه وتعالى ليست كذات المخلوقين.

قال: (وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات)

بما أنّ الذات قد اختلفت؛ إذاً فالصفات كذلك تختلف.

قال: (لأنّ صفة كلّ موصوفٍ تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات؛ فقوة البعير مثلاً غير قوة الدّرة)

يعني: كما أننا نرى مثلاً ذات النملة تختلف عن ذات الفيل، فإذا اختلفت ذات النملة عن ذات الفيل؛ اختلفت الصفات كذلك؛ فصفات النملة تختلف عن صفات الفيل، فكما أنّ الذوات بين المخلوقين إذا اختلفت؛ اختلفت صفاتهم؛ كذلك ذات الله سبحانه وتعالى اختلفت مع ذوات المخلوقين؛ فتختلف صفاته عن صفات المخلوقين.

هذه كلها أدلة عقلية ربّما يحتاجها بعض أهل الاختصاص من المتمكنين في هذا العلم؛ فيواجه أحدَ الحائرين الذين يحتاجون أن يعرفوا الحقّ من الباطل؛ فيحتاج أن يناقشه بمثل هذه الطريقة، أما نحن- فبحمد الله- لسنا بحاجة إليها؛ يكفي أن يقول الله سبحانه وتعالى لنا:

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ونكتفي، وهذا المعنى هو الذي كان الصحابة رضي الله

عنهم يُعلّمونه، فيوجهون ويبينون لنا أنّه إذا جاءت الأدلة من الكتاب والسّنة؛ لسنا بحاجة إلى إعمال العقل ولا إلى البحث في هذا الأمر، فإذا جاء قول الله، وقول رسول الله ﷺ؛ انتهى الأمر في ذلك؛ هكذا كان السلف رضي الله عنهم؛ لذلك لما جاءت إحدى النساء إلى عائشة رضي الله عنها

فقلت لها: ما بالناس نقضي الصوم ولا نقضي الصلاة، يعني الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، فباشرت عائشة وقالت لها: **أحرورية أنت**⁽¹⁾ ؟

انظر كيف! يعني هل أنت من الخوارج؟

الخوارج الذين يعتقدون أنه يجب على الحائض أن تقضي الصوم وتقضي الصلاة؛ لأنهم عارضوا شريعة الله بعقولهم؛ وهذه مصيبة قديمة ليست اليوم أو في الأمس، فقلت لها: **أحرورية أنت**؟

يعني: تعارضين شرع الله سبحانه وتعالى بعقلك كما عارضت الخوارج؛ قالت: أعوذ بالله، إنما أسأل، فقلت هكذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقضي الصوم ولا نقضي الصلاة.

انظر كيف ردتها مع أنها تعلم ما هو السبب، وكانت قادرة على أن تبين لها؛ ولكنها أرادت أن تبين لها أن شريعة الله تبارك وتعالى يجب أن تؤخذ بالتسليم، إذا قال الله كذا أو قال رسوله ﷺ؛ كذا انتهى الأمر؛ لا تعمل عقلك في الأمر، جاءك النص من عند الله؛ انتهت القضية؛ هذا ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم؛ التسليم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا يمتاز أهل الإيمان؛ يؤمنون بالغيب، بمجرد أن جاءهم الخبر بالغيب من عند الله تبارك وتعالى؛ يؤمنون به، قال تعالى: ﴿ **ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب** ﴾؛ إذا أهل الإيمان وصفهم الله سبحانه وتعالى بالإيمان بالغيب، هذه صفتهم، فيكفي أن يأتي الدليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ.

هذه الأدلة العقلية التي يذكرها المؤلف هنا يذكرها لإقامة الحجة على بعض الحائرين من الذين نعلم منهم أنهم يريدون الحق لكنهم تائهون، واحتاجوا أن يفهموا بعض الشبهات التي أدخلها عليهم بعض المتكلمين؛ فيمكن أن نستعمل معهم مثل هذه الطريقة، وإلا فالأصل خلاف هذا.

¹ - أخرجه البخاري (321)، ومسلم (335).

قال المؤلف: (أنّه قد علّم بالضرورة أنّ بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تبايناً في الصفات)؛

يعني: كما أن هناك اختلافاً في ذات الخالق وذات المخلوق؛ كذلك يوجد اختلاف في صفات الخالق وصفات المخلوق؛

(لأنّ صفة كلّ موصوف تليق به؛ كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات)؛
المختلفة في الذوات، كذات الفيل وذات النملة مثلاً؛ هذه الذات مختلفة عن الذات الأخرى؛
(فقوة البعير مثلاً غير قوّة الدّرة)؛ والذرّة هي النملة.

قال: (فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث)

يعني: أنّ المخلوقات كلّها ممكنة الوجود لا واجبة الوجود، وقد تطرقنا لذلك في السابق، وهذه من الألفاظ المستعملة عند المتكلمين؛ فممكن الوجود هي المخلوقات كلّها، وواجب الوجود هو الله سبحانه وتعالى، يعني: الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يأتي وقت من الأوقات لا يكون موجوداً، أبداً، لا يمكن هذا، أمّا المخلوق فيمكن أن يكون موجوداً ويمكن أن يكون مفنياً.
والحدوث يعني: حادث؛ حدث بعد أن لم يكن، هذا بالنسبة للمخلوق،
أمّا الله عزّ وجلّ فلا يمكن أن يحدث بعد أن لم يكن؛ لأنّه ما جاء وقت من الأوقات كان الله سبحانه وتعالى غير موجود فيه؛ فالمخلوق يُطلق عليه الإمكان والحدوث.
فيقول هنا: (فإذا ظهر التباين)؛ يعني: الاختلاف
(بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث)؛ كلّها مشتركة في كونها ممكنة وحادثة؛ ومع ذلك بينها اختلاف كبير.

قال: (فظهر التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى)

لأنّها غير مشتركة مع الله سبحانه وتعالى في مسألة الإمكان والحدوث، فالمخلوقات ممكنة وحادثة؛ لكنّ الله سبحانه وتعالى واجب الوجود وليس حادثاً؛ فكما أننا نرى التفاوت في الصفات بين المخلوقين وكذلك التفاوت في الذوات؛ فمن باب أولى أن يكون التفاوت بين المخلوقين والخالق في الذات وفي الصفات؛ هذا معنى كلام المصنف.

قال: (الثاني: أن يُقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقُّصٌ لحق الخالق؛ فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً)

يعني: لا يمكن أن يماثل الكامل الناقص، وإذا اعتقدت ذلك؛ فقد أدخلت النقص على الكامل؛ هذا هو المعنى، وهو واضح.

قال المؤلف رحمه الله: (الثالث)

من الأدلة العقلية

قال: (أننا نشاهد في المخلوقات ما يتَّفَقُ في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية)

هذا في المخلوقات أنفسها؛ تجد الاسم متفقاً؛ لكن في الحقيقة وفي الكيفية مختلف تماماً.

قال: (فنشاهد أن للإنسان يداً ليست كيد الفيل)

لاحظ الفرق! هذه تسمى يد وهذه تسمى يد، فمن حيث التسمية واحدة، وأصل المعنى واحد؛ لكن هل يد الإنسان كيد الفيل؟ لا.

قال: (وله قوة ليست كقوة الجمل؛ مع الاتفاق في الاسم، فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة؛ وبينهما تباين في الكيفية والوصف)

كيفية اليد تختلف عن كيفية اليد، صفة اليد تختلف عن صفة اليد.

قال: (فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة)

إذاً فكذلك اتفاق اسم صفة الله سبحانه وتعالى اليد مع اتفاق اسم صفة المخلوق يد، لا يلزم أن تكون هذه اليد مثل هذه اليد كما يقوله المتكلمون.

قال: (والتشبيه كالتَّمثِيل، وقد يُفَرَّقُ بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتَّشْبِيه في أكثر الصفات؛ لكن التَّعْبِيرَ بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: {ليس كمثله شيء}).

يعني: تارة يُطلق العلماء التشبيه على معنى التمثيل لا فرق، وربما فُرِّقَ بينهما بأن التمثيل التسوية بين الأمرين من كل جه؛ أي: مثله تماماً.

بينما التشبيه يوجد افتراق في بعض الأمور، وافتراق في أشياء أخرى، فتقول: هذا يشبه هذا؛

أي: قريباً منه وليس مطابقاً له، بينما التمثيل مطابق له.

هذا ما يتعلق بمسألة التمثيل؛ إذاً فالتمثيل محرم ويجب نفيه، فنحن نقول: نثبت الصفات لله سبحانه وتعالى من غير تمثيل؛ فننفي التمثيل عن الله سبحانه وتعالى لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾.

ثم قال المؤلف: (وأما التكييف؛ فهو أن يعتقد المُنْتَبِ أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يُقيدها بمماثل؛ وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل)

انتقل المؤلف إلى المحذور الثاني؛ وهو التكييف؛ فما معنى التكييف؟

قال: (هو أن يعتقد المُنْتَبِ أن كيفية صفات الله كذا وكذا)؛

يعني: حكاية كيفية الصفة؛ مثلاً يدُّ الله؛ تتصور في ذهنك أن يدَّ الله سبحانه وتعالى طولها كذا، عرضها كذا، مربعة، مدورة، مثلثة.. إلى آخره من التمثيلات أو التصورات التي تتصورها في ذهنك؛ هنا تكون قد رسمت لها كيفية معينة في ذهنك، أو نطقت بذلك؛ فقلت هي على صورة كذا وكذا؛ فتكون قد وضعت لها كيفية معينة؛ وهذا كله مُحَرَّم؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأنَّ له يداً؛ له هذه الصفة؛ لكنَّه لم يخبرنا بكيفية هذه الصفة، نعم نحن نعتقد بأنَّ لها كيفية؛ فلا نقول بأنَّ صفات الله لا كيفية لها؛ لأنَّ الشيء الذي لا كيفية له لا وجود له؛ ليس موجوداً، فكلَّ شيء موجود له كيفية،

وصفات الله لها كيفية نحن نعلم هذا؛ لكننا نجعلها؛ لذلك لا يجوز لنا أن نقول بكيفية كذا وكذا؛ لأننا إذا قلنا هذا؛ فنكون قد تكلمنا بجهل بغير علم، وأثبتنا لله سبحانه وتعالى شيئاً هو لم يخبرنا عنه؛ فهنا نكون قد وقعنا في المحذور.

أخبرنا الله سبحانه وتعالى بيده، أخبرنا بأنَّ له عيناً؛ لكنَّه لم يخبرنا بكيفيةها، ونحن لا يمكننا أن ندرك الكيفية من عندنا؛ فيد الله أمر غيبي عنا لم نره، ولا رأينا شيئاً يشبهه ويمثله؛ لأنَّه لا مثل له، ولا أخبرنا هو تبارك وتعالى عن كيفيةها، ولا أخبرنا نبيه ﷺ عن كيفيةها، فهذه الأمور تدرك الأشياء؛

• إِمَّا أَنْ تَرَاهَا،

• أَوْ أَنْ تَرَى مِثْلًا لَهَا وَتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا مِثْلَ هَذَا،

• أَوْ أَنْ تُخَبِّرُ بِهَا،

وهذه الثلاثة منفية عن كيفية صفات الله سبحانه وتعالى؛ لذلك نحن نثبت الكيفية لله سبحانه وتعالى، فإذا قلنا: من غير تمثيل ولا تكييف، فليس معنى ذلك ليس لها كيفية؛ لا، هي لها كيفية؛ لكننا نجهلها، لا نعلمها؛ لذلك نفوض أمرها إلى الله سبحانه وتعالى؛ هذا معنى: (من غير تكييف)

وقوله: (فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل)؛ لأنه إذا قيدها بمماثل يكون تمثيلاً، وحقيقة كل مُمَثِّلٍ فقد كيّف؛ لأنك عندما تقول هذه اليد مثل هذه فقد جعلت كيفيتها كاليد الأخرى، لكن المؤلف أراد أن يفرّق بينهما الآن؛ فالتكييف أن تقول كيفيتها كذا وكذا من غير أن تثبت لها ممثلاً؛ (وهذا اعتقاد باطل) محرّم للأسباب التي ذكرناها؛ (بدليل السمع والعقل).

قال: (أَمَّا السَّمْعُ: فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} ⁽¹⁾) لا يحيطون به علماً؛ لا يمكنهم أن يعلموا عن الله تبارك وتعالى إلا ما أعلمهم الله تبارك وتعالى عن نفسه، أمّا أن يحيطوا به علماً كاملاً بكلّ شيء؛ فهذا لا يمكن.

قال: (وقوله: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا} ⁽²⁾)

أي: لا تتكلم فيما تجهل؛ فأنت مسؤول عن كلّ كلمة تخرج من فيك؛ هذا معنى الآية، ونحن نجهل الكيفية، فلا علم لنا بها؛ فالكلام في هذا الأمر محرّم.

¹ - [طه:110]

² - [الإسراء:36]

قال: (ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا؛ لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيةها؛ فيكون تكييفنا قُفُوًّا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به).

قال: (وأما العقل: فلأنَّ الشيء لا تُعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له)

يعني: إمّا أن تعلمه هو نفسه بأن تراه مثلاً، أو العلم بمساوٍ ومماثلٍ له.

قال: (أوبالخير الصّادق عنه)

هذه الثلاث لا رابع لها.

قال: (وكلّ هذه الطُّرُق مُنتَفِيَةٌ في كيفية صفات الله عزّ وجلّ؛ فَوَجَبَ بُطْلَانُ تكييفها).

يقول المؤلف: (وأيضاً فإننا نقول: أيُّ كيفية تُقدِّرها لصفات الله تعالى؟)

يعني: تريد أن تقدر كيفية لصفة الله تعالى؛ فأَيُّ كيفية من الكيفيات تريد أن تقدرها لله سبحانه وتعالى.

قال: (إنَّ أيَّ كيفية تُقدِّرها في ذهنك؛ فالله أعظم وأجلّ من ذلك)

لا تستطيع أن تكيّف أصلاً من عندك؛ لأنّك مهما حاولت تصوّر هذه الكيفية؛ فلن تصيب؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أعظم وأجلّ من الصورة التي سترسمها في ذهنك، أو ستنتطق بها.

قال: (وأيَّ كيفية تُقدِّرها لصفات الله تعالى، فإنّك ستكون كاذباً فيها؛ لأنه لا علم لك بذلك.

وحيئنذ يجب الكفّ عن التكييف تقديراً بالجنان، أو تقريراً باللسان، أو تحريراً بالبنان)

يعني: لا يجوز لك أن تقدر كيفية معينة، أو أن تثبت كيفية معينة لصفات الله سبحانه وتعالى، لا بقلبك؛ وهو الجنان؛ يعني: لا تتصورها في ذهنك وتعتقد هذا، ولا تقرر ذلك بلسانك؛ فتنتطق به، ولا تكتبه ببنانك يعني: بأصابعك.

قال: (ولهذا لما سئل مالك - رحمه الله تعالى - عن قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}؛ كيف استوى؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"⁽¹⁾)

يعني لما سئل مالك بن أنس إمام دار الهجرة؛ قال: "الاستواء غير مجهول"؛ وكما جاء في رواية ثانية: "معلوم"؛ أي: الاستواء معلوم معناه في اللغة العربية؛ فالاستواء بمعنى: العلو والارتفاع كما صحّ عن أبي العالية الرياحي⁽²⁾ الذي أخذ عن سبعين من أصحاب النبي ﷺ.

قال: (والكيف غير معقول)؛ أي: لا نستطيع أن ندرك الكيفية بعقولنا، ولم يخبرنا الله سبحانه وتعالى بها؛ كما جاء في رواية ثانية: "والكيف مجهول"؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا بها.

قال: (والإيمان به واجب)؛ الإيمان بالاستواء واجب؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

قال: (والسؤال عنه بدعة)؛ يعني: السؤال عن الكيفية بدعة؛ ضلالة؛ أمر محدث؛ ما كانوا يسألون عن الكيفية، وكانوا يثبتون لله سبحانه وتعالى الصفات التي هي مثبتة في كتاب الله وفي سنة الرسول ﷺ، كانوا على دلالة اللغة العربية، ولم يكونوا يتكلفون.

قال: (وروي⁽³⁾ عن شيخه ربيعة أيضاً)

يعني نفس الكلام.

وربيعة؛ هو شيخ الإمام مالك؛ ربيعة بن عبد الرحمن أحد فقهاء المدينة.

قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول⁽⁴⁾)، وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان. وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع، فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي؛ فوجب الكف عنه)

¹ - أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (867)

² - أخرجه البخاري في صحيحه (124/9) معلقاً

³ - في المتن من مجموع الفتاوى: "روى"، وقد يكون الصواب: "روي"؛ فلم أجد الأثر من رواية مالك عن شيخه ربيعة

⁴ - أخرجه الذهبي في "العلو للعلي الغفار" (352) من رواية سفيان عن ربيعة

وأخرجه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (440/3) عن أم سلمة زوج النبي

ثم قال: (فاحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت؛ وقعت في مفاوز لا تستطيع
الخلاص منها)

المفاوز: الصحارى الواسعة.

قال: (وإن ألقاه الشيطان في قلبك؛ فاعلم أنه من نزغاته)
فاستعد بالله من الشيطان الرجيم وكُفَّ عن ذلك.

قال: (فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك، قال الله تعالى: "وإِذَا
يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" ⁽¹⁾)
نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته.

إذاً عند هذا نقول: نثبت الصفات لله سبحانه وتعالى من غير تمثيل ولا تكييف.



¹ - [فصلت: 36]